

الإيكونومست || بين التطبيع المشروط مع إسرائيل والعلاقات الخفية: السعودية تمسك العصا من المنتصف



السبت 22 نوفمبر 2025 12:00 م

على مدى خمس سنوات، حاول مراقبو السياسة في الشرق الأوسط بواشنطن التكهّن بمن سينضم بعد ذلك إلى اتفاقات أبراهام، وهي الاتفاقات التي أبرمت عام 2020 وشهدت اعتراف أربع دول عربية (الإمارات العربية المتحدة، البحرين، المغرب والسودان) بإسرائيل في السادس من نوفمبر أعلن ستيف ويتكوف، مبعوث دونالد ترامب للشرق الأوسط، أن دولة جديدة باتت جاهزة للتوقيع تساءل البعض إن كانت سوريا، التي كان رئيسها مقرراً أن يزور البيت الأبيض بعد أربعة أيام وسأل آخرون إن كانت السعودية.

أياً كانت، لكن ذلك تطوراً كبيراً فقد كان الهدف من الاتفاقات إنهاء عزلة إسرائيل في المنطقة: إذ حتى وقت توقيعها لم تكن سوى دولتين عربيتين تعترفان بالدولة اليهودية ولم تقتصر على الاعتراف الدبلوماسي، بل وعدت أيضاً بتكامل حقيقي، بعلاقات اقتصادية وثقافية، لا سلام بارد كما كان الحال في الاتفاقات السابقة مع مصر والأردن.

لكن في النهاية، لم تكن أيٌّ منهما: بل كانت كازاخستان، التي تقيم علاقات مع إسرائيل منذ 1992. وقد وعدت بتعميق تلك العلاقات، لكن ذلك بالكاد يُعد اختراقاً دبلوماسياً حتى بعض مساعدي ترامب وجدوا صعوبة في تفسير أهمية الخطوة.

هذا الخذلان كان تمهيداً لصعوبات قادمة فقد أثبتت الاتفاقات قدرة لافتة على الصمود خلال عامين من الحرب في غزة لكن توسيعها سيكون أصعب فعندما زار محمد بن سلمان البيت الأبيض في 18 نوفمبر، كان يحمل معه قائمة طويلة من الطلبات يريد اتفاق دفاع، واتفاق تعاون نووي مدني، وصفقة لشراء مقاتلات F-35، على سبيل المثال لا الحصر.

شيء واحد لن يكون متحمساً لمناقشته: الاعتراف بإسرائيل فقد كان السعوديون واضحين بأنهم لن يطّبعوا العلاقات ما لم تتجه إسرائيل نحو عملية سلام حقيقية مع الفلسطينيين علماً، سيحت ترامب السعوديين على إعادة النظر أما في الغرف المغلقة، فيقول بعض الجمهوريين إن الرئيس يتسامح مع تردد المملكة—على الأقل الآن (وربما سيكون أكثر إلحاحاً مع اقتراب نهاية ولايته).

حتى في ذروة carnage غزة، لم يتخلّ أي من موقعي الاتفاقات عنها ما زال الإسرائيليون مرحّباً بهم في المؤتمرات في الإمارات وفي التدريبات العسكرية في المغرب وعندما أوقفت شركات طيران أجنبية رحلاتها إلى إسرائيل خوفاً من الصواريخ على مطار تل أبيب، واصل طيران الاتحاد وفلاي دبي تسيير رحلاتهما؛ ويصف مسؤول إماراتي شركات الطيران المملوكة للدولة بأنها “جسر جوي” يربط إسرائيل بالعالم وقد بلغ حجم التجارة بين البلدين 3.2 مليارات دولار العام الماضي، بزيادة 11% عن 2023.

ويقول مؤيدو الاتفاقات إن هذا بالضبط هو الشكل الطبيعي للعلاقات الدبلوماسية فأمريكا، في نهاية المطاف، لم تقطع علاقاتها بروسيا بعد غزوها لأوكرانيا ومنذ عام 2023 قدّمت الإمارات مساعدات لغزة بقيمة 2.6 مليار دولار، أكثر من أي دولة أخرى ولم تكن لتفعل ذلك لولا علاقتها مع إسرائيل، التي تتحكم في حدود غزة.

ومع ذلك، كانت هناك لحظات توتر فعندما وقّعت الإمارات الاتفاقات، حصلت على تعهد بأن إسرائيل ستجّد مؤقتاً الحديث عن ضم الضفة الغربية المحتلة وقد شعرت بالإحراج هذا الصيف عندما أعاد بنيامين نتنياهو، رئيس الوزراء الإسرائيلي، الموضوع إلى الطاولة وقالت لانا نسيبة، مسؤولة بوزارة الخارجية، لصحيفة إسرائيلية إن الضم سيتجاوز “خطاً أحمر”. ونقل مسؤولون إماراتيون آخرون تحذيرات أشد في السرّ ويقول أمير حايك، الذي كان أول سفير لإسرائيل في أبوظبي: “لقد أوصلوا الرسالة (بأنهم سيقطعون العلاقات) بوضوح على كل المستويات”. فتراجع نتنياهو عن الموضوع.

ترامب حريص على انضمام دول أخرى ويزعم التقرير أن الرئيس السوري المؤقت أحمد الشرع مستعد لتوقيع معاهدة سلام مع إسرائيل

لكنه قال لمحدثيه خلال زيارته لواشنطن أوائل هذا الشهر إن سوريا لا تستطيع توقيع اتفاق ما لم تنسحب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها بعد سقوط نظام بشار الأسد في ديسمبر ولا يبدو أن مثل هذا الانسحاب وشيك وسيكون اتفاق سلام أكثر إثارة للجدل في لبنان ومع ذلك، لم يعد الحديث عن السلام من المحرمات: حتى الرئيس جوزيف عون يقول إن بلاده تحتاج إلى التفاوض مع إسرائيل لكن في كلا الحالتين، ستأتي الاتفاقات أقل بكثير من اتفاقات أبراهام ربما سيوقع لبنان على معاهدة سلام؛ لكن استقبال سياح إسرائيليين في بيروت أمر آخر تمامًا.

أفضل أمل لسلام دافئ هو السعودية؛ ومن هنا أهمية زيارة الأمير محمد فصقة مع المملكة قد تكون لها تأثيرات متتالية فهي أكبر اقتصاد عربي بفارق كبير، ووصية على أقدس المواقع الإسلامية وإذا وافقت على الاعتراف بإسرائيل، فقد تحذو دول عربية وإسلامية أخرى حذوها كان جو بايدن، سلف ترامب، على وشك إبرام صفقة معاملة عام 2023. مقابل الاعتراف السعودي بإسرائيل، كانت أمريكا ستمنح المملكة معاهدة دفاع وحواجز أخرى ورأى الأمير محمد أن ذلك فرصة لإعادة بناء مكانته في واشنطن، التي كانت لا تزال متدهورة بسبب حرب اليمن وجريمة قتل جمال خاشقجي، الصحفي السعودي.

لكن اندلاع حرب غزة عام 2023 أوقف الاتفاق وعلى مدى أكثر من عام، أصرت السعودية على أنها لن توقع أي اتفاق ما لم يتضمن مسارًا جديدًا نحو إقامة دولة فلسطينية (وهو ما لن يقبله نتنياهو). وفي مؤتمر أمني بالبحرين أوائل هذا الشهر، بدت منال رضوان، مسؤولة في الخارجية، مستاءة من استمرار التكهات بأن الصفقة وشيكة وقالت: “لقد قلنا ذلك مرات عديدة، ولا نعتقد أننا تلقينا فهمًا كاملًا.”

المملكة لم تعد بحاجة لصفقة لتلميع صورتها في واشنطن يقول أحد موظفي الكونجرس: “الآراء تجاه السعودية تغيرت جذريًا في هذه المدينة.” فقد تبنت سياسة خارجية براغماتية ووعدت باستثمارات ضخمة في أمريكا وقد حصل الأمير محمد على اتفاق دفاعي من ترامب، رغم أنه سيكون أمرًا تنفيذيًا غير ملزم بدلاً من معاهدة يصدق عليها مجلس الشيوخ وتقول مصادر إنه تحقق تقدم حقيقي نحو اتفاق نووي واستهل ترامب ذلك يوم الاثنين بالقول إن أمريكا ستبيع السعودية مقاتلات F-35 المتقدمة (رغم أنه سيستغرق سنوات قبل تسليمها).

سيواصل السعوديون إبقاء احتمال التطبيع مطروحة على الطاولة: فهو ورقة مفيدة لإغراء المشرعين الأمريكيين وسيعققون أيضًا العلاقات الاقتصادية السرية مع إسرائيل وقد التقى مراسل الصحيفة بعدد من رجال الأعمال الإسرائيليين في الرياض هذا العام (سافروا بجوازات ثانية). ويزعم التقرير أن الحكومة السعودية جادة حين تقول إن على إسرائيل أن تدفع ثمنًا للاعتراف.

عندما أعلنت اتفاقات أبراهام، وصفها بعض خبراء الشرق الأوسط بأنها مقاربة “من الخارج إلى الداخل” لحل أقدم صراعات المنطقة لم تعد الدول العربية ستحجب الاعتراف عن إسرائيل إلى أن تصنع السلام مع الفلسطينيين بل ستطبع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل ثم تستخدم علاقاتها مع الإسرائيليين والفلسطينيين لدفع الطرفين نحو السلام.

الآن أضاف ترامب طبقة جديدة من التجريد فإذا لم يستطع إقناع دول عربية أخرى بالاعتراف بإسرائيل بعد، فسيحاول إقناع دول مثل كازاخستان بتعميق علاقاتها القائمة ستصبح الاتفاقات أقل مبادرة للسلام وأكثر “علامة تجارية”. ولكي تبقى أكثر من ذلك، سيتعين على إسرائيل أن تتغير أيضًا